قضايا الشعرية وإشكالاتها

د. فيروز رشام*

الملخص

يعد موضوع الشعرية الذي يرجع في أصوله الأولى لأرسطو في كتابه فن الشعر ، ويرجع في طرحه المعاصر للشكلانيين الروس ، من أخصب المواضيع المطروحة للنقاش في مجال الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة ، ذلك لأنها شديدة التعلق بنظرية الأدب وكذا بالنقد الأدبي. تهتم الشعرية بمحاولة البحث عن القوانين التي تحكم الخطاب الأدبي ، والتي تجعله متميزا عن باقي أنواع الخطابات الأخرى ، وهي بذلك لا تبتعد كثيرا عن مفهوم الأدبية وأهدافها. فقد كان هدف الشعرية منذ البداية هو تأسيس «علم للأدب» يدرس الأدب دراسة علمية محايثة بوصفه فنا لفظيا.

Poetics is a topic which return to “Aristotle” in his book entitled “Poetics”, and it is actually proposed by the Russian formalists. Nowadays, this topic is the most discussed in the field of literary studies and contemporary critical. The poetics field is trying to search after different laws which governing the literary discourse, this characteristic procures it a great difference with other types of speeches. By this way, poetics is not far from the concept of the “literarity” and its fulfillments. Well, the achievement of the poetry and its first step, is the creation of “science of literature” in order to study scientifically this field.

1. مفهوم الشعرية

يعتبر مصطلح الشعرية Poeticsمن أكثر المصطلحات شيوعا في مجال الدراسات الأدبية والنقدية ، الحديثة منها والمعاصرة ، خاصة منذ بداية القرن العشرين ، وإن كان أصله يعود لأبعد من هذا ، حيث ينسب إلى أرسطو في كتابه المشهور «فن الشعر» ، الذي عدّ المختصون شعريته«أهم شعرية في تاريخ الشعرية ، وبطريقة ما ، فإن تاريخ الشعرية كان إعادة تأويل لكتاب أرسطو»(1).

للشعرية تعريفات كثيرة ومختلفة ، تتباين من ناقد لآخر ، ومن ثقافة

*كلية الاداب و اللغات ، جامعة آكلي محند أو لحاج بالبويرة . :

(1) Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Seuil, Paris, 1972, P108.

لأخرى ، وحتى من زمن لآخر. مع ذلك تتفق كلها تقريبا في فكرة أساسية وجوهرية ، وهي « قوانين الخطاب الأدبي ، وهذا هو المفهوم العام والمستكشف منذ أرسطو وحتى الوقت الحاضر »(1).

فالشعرية عموما هي «محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ومحايثة للأدب بوصفه فنا لفظيا. إنها تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبها وجهة أدبية. فهي إذن تشخص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي»(2).وتعود محاولة تأسيس شعرية حديثة إلى الشكلانيين الروس الذين سعوا لإقامة علم للأدب من خلال وضع مبادئ مستمدة من الأدب نفسه. وبذلك يكون مصطلح الشعرية مصطلحا قديما وحديثا في الوقت ذاته ، وإن تنوع هذا المصطلح أحيانا ، فإنه ظل من ناحية الفكرة منحصرا في إطار البحث عن القوانين التي تحكم العمل الأدبي.

هذا هو المفهوم الجوهري الذي تلتقي فيه مختلف الشعريات الحديثة ، وإن اختلفت في إجراءاتها ومناهجها ، بدءا من أرسطو الذي اقتصرت شعريته على معالجة الملحمة والدراما بشقها التراجيدي ، مهملا بذلك جزءا هاما من الأدب وهو الشعر الغنائي. ولذلك يعتبر تودوروف موضوع كتاب «فن الشعر» ليس الأدب ، وبالتالي ليس كتابا في نظرية الأدب ، إنما كتاب في التمثيل أو المحاكاة عن طريق الكلام(3).

عتبارها أهملت الشعر الغنائي ، بالإضافة لكونها تتعلق بخاصية من خواص إدراكه ، لا بمفهومه المجرد ، إلا أن «تاريخ الشعرية ـ بطريقة ما ـ هوإعادة تأويل لكتاب أرسطو »(4).

كثيرون هم النقاد الذين خاضوا في موضوع الشعرية ، لكننا سنكتفي في هذا المقام بذكر آراء البعض منهم فقط ، ممن لهم إسهامات وتأثيرات في هذا الموضوع، وهم بول فاليري ، رومان ياكبسون ، جون كوهين ، وتزفيتان تودوروف.

يقول فاليري : « يبدو لنا اسم «شعرية» ينطبق عليه ما فهمناه بالعودة إلى معناه الاشتقاقي ، أي اسما لكل ما له صلة بإبداع كتب أو تأليفها ، حيث تكون اللغة في آن واحد الجوهر والوسيلة ، لا بالعودة إلى المعنى الضيق الذي يعني

(1)حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، المركز الثقافي الربي ، بيروت / الدار البيضاء ، ط1 ، 1994 ، ص05.
(2)نفسه ، ص09.
(3)ينظر: تزفيتان طودوروف ، الشعرية ، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1987 ، ص12.
(4)Ducrot et Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du language, P108.

مجموعة من القواعد أو المبادئ الجمالية ذات الصلة بالشعر »[1]. تتعلق كلمة شعرية في هذا النص بالأدب كله سواء كان منظوما أم لا ، بل تكاد تكون متعلقة خصوصا بالأعمال النثرية[2].وهذا هو المعنى الذي سيستلهمه تودوروف في شعريته الخاصة[3].

في بداية القرن العشرين أعطى الشكلانيون الروس دفعا جديدا للشعرية ، من خلال دعوتهم لضرورة إقامة علم للأدب ، تكون مبادؤه مستمدة من الأدب نفسه ، لتكون هذه المبادئ المنطلق الأساسي لاستنطاق الخطاب الأدبي. وهي الفكرة التي لخصها أحد أهم أعلام هذه الجماعة «رومان ياكبسون« في مقولته الشهيرة عام 1919: «ليس موضوع العلم الأدبي هو الأدب ، وإنما الأدبية ، أي ما يجعل من عمل معين عملا أدبيا »[4]. وبعبارة أوضح يؤكد هذه الفكرة بقوله: « إن موضوع الشعرية هو ، قبل كل شيء ، الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا »[5].

للإجابة عن هذا السؤال الجوهري في شعرية الشكلانيين، يفترض ياكبسون وجود ست وظائف أساسية للغة[6] ، تكون إحداها الوظيفة الشعرية التي التي تهمين على الشعر ، والتي تقوم الشعرية ، كعلم ، بالبحث عن تجلياتها في العمل الأدبي، إذ « يمكن تحديد الشعرية باعتبارها ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقاتها مع الوظائف الأخرى للغة. وتهتم الشعرية ، بالمعنى الواسع للكلمة ، بالوظيفة الشعرية لا في الشعر فحسب حيث تهيمن هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة ، وإنما تهتم بها أيضا خارج الشعر حيث تعطى الأولوية لهذه الوظيفة أو تلك على حساب الوظيفة الشعرية »[7].

والوظيفة الشعرية ليست «الوظيفة الوحيدة لفن اللغة بل هي فقط وظيفته المهيمنة والمحددة »[8]، والتي تجعله عملا فنيا. وهي بالتأكيد لا توجد توجد فيه منفصلة عن باقي الوظائف ، إنما تدخل معها في شبكة معقدة من العلاقات ، بحيث يصبح القبض عليها داخل النص ، أمرا مستعصيا لا محالة ، في

(1)طودوروف ، الشعرية ، ص23 ، 24.
(2)ينظر : نفسه ، ص24.
(3)ينظر : عثماني الميلود ، شعرية تودوروف ، منشورات عيون ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1990، ص16.
(4)طودوروف ، الشعرية ، ص84.
(5)رومان ياكبسون ، قضايا الشعرية ، تر محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، المغرب ، 1988، ص24.
(6) هذه الوظائف هي : 1 ـ الوظيفة الانفعالية. 2 ـ الوظيفة المرجعية . 3 ـ الوظيفة الشعرية. 4 ـ الوظيفة الإنتباهية.
(7)نفسه ، ص35.
(8)نفسه ، ص31 .

حين تلعب دورا ثانويا في أنواع الخطابات الأخرى.

انطلاقا من هذه الوظيفة ركز الشكلانيون على البحث عما في الأثر الأدبي من خاصية أدبية ، أوكما يسمونها «الأدبية». وبذلك وسّعوا مفهوم الشعرية ليشمل كامل الأدب شعرا ونثرا ، وكل الأجناس والأنواع ، خلافا لشعرية أرسطو التي كانت مركزة على جزء منه فقط.

أما جون كوهين ، فقد اكتفى بتعريف «الشاعرية»في كتابه المعروف «النظرية الشعرية»كـ «علم موضوعه الشعر»(1). وكان قد أقام نظريته أساسا على مفهوم«الانزياح» مركزا فقط على الشعر. ولذلك وسمت شعريته بالتجزيئية وعدم الشمولية لأجناس الأدب كافة كما هو الحال في نظرية ياكبسون أيضا ، لأن نظريتهما تعالج الخطاب الشعري فقط دون النثري(2).

وبالنسبة لتودوروف ، فإنه يعد من أكثر النقاد اهتماما بموضوع الشعرية. وقد خصص لها كتاباً كاملاً ، وفصلاً مهما في القاموس الموسوعي في علوم اللغة الذي ألفه بمشاركة «ديكرو». ومما ورد في قاموسه الموسوعي هذا عن مصطلح «الشعرية» أنه كما وصل إلينا عن طريق التقاليد الأدبية ، يشير إلى العديد من المعاني هي(3):

1 ـ كل نظرية داخلية للأدب.

2 ـ تتجسد في الخيارات التي يقوم بها الكاتب عبر كل الإمكانات الأدبية (في إطار التيماتيكية ، التركيبية ، الأسلوبية...الخ) .

3 ـ تشير إلى كل الترميزات المعيارية الإجبارية لمدرسة ما.

المعنى الذي يهم تودوروف هنا هو المعنى الأول ، إذ يرى أن الشعرية عليها أن تجيب أولا عن السؤال : ما هو الأدب؟ كما عليها أن تعرّف الخطاب الأدبي مقارنة بأنواع الخطابات الأخرى. وتجيب ثانياً عن السؤال : ما هي الوسائل الوصفية الكفيلة بتمييز مستويات المعنى وتحديد مكونات النص الأدبي؟(4).

استلهم تودوروف مفهومه للشعرية ـ كما سبقت الإشارة ـ من تعريف فاليري الذي يراها مرتبطة بكل الأدب ، منظومه ونثره ، غير أن شعرية تودوروف

(1)جون كوين ، النظرية الشعرية ، تر أحمد درويش ، دار غريب ، القاهرة ، ط4 ، 2000 ، ص29.
(2)ينظر: حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 83 وص90.
(3)Voir :Ducrot et Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage,P 106.
(4) Voir : ibid, P 107.

تقوم أساسا على مفهوم الخطاب الأدبي ، وتشتغل على خصائصه لذلك لايهتم بالأثر الأدبي في ذاته ، إنما بتجليه الذي يحمل خصائص الأدب[1]. وبالنسبة إليه « ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية ، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي. وكل عمل عندئذ لا يعتبر إلا تجليا لبنية محددة وعامة ، ليس العمل إلاّ إنجازا من إنجازاتها الممكنة ، ولكل ذلك فإن هذا العلم لا يعنى بالأدب الحقيقي ، بل بالأدب الممكن. وبعبارة أخرى يعنى بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي ، أي الأدبية »[2].

يستخدم تودوروف مصطلح « الشعرية » كشبه مرادف لـ « علم/ نظرية الأدب »[3]، ويقدمها كبحث في القوانين الداخلية للخطابات الأدبية هدفه استكشاف أدوات الخطاب ، لذلك لا يهمه النص إلاّ من حيث كونه حاملاً لهذه الأدوات. ولعل هذا ما جعل البعض يسم شعريته بـ « التجريدية » لا « التجريبية »[4]، لأنها لا تهتم بشعرية الكتّاب أو المدارس (أوالتيارات) الأدبية ، إنما تركز على استكشاف قوانين الخطاب. وبذلك تكون شعريته امتدادا طبيعيا للشعرية الشكلانية.

ويميز أيضا بين ثلاثة عناصر أساسية ، تمثل المظاهر العامة التي يتشكل منها الخطاب الأدبي ، وهي: المظهر اللفظي ، المظهر التركيبي ، والمظهر الدلالي. ويلخّص دور الشعرية في البحث عن مستويات تداخل هذه المظاهر وانتظامها داخل النص ، باعتبارها المظاهر الأساسية التي يقوم عليها تحليل النص الأدبي[5].

2ـ الفرق بين الشعرية والأدبية

يتداخل هذان المصطلحان لدرجة اعتبارهما مترادفين. وإن كان من الصعب تحديد الفرق بينهما بشكل فاصل ، فإن ما يجمعهما واضح جداً ومعروف ، فالإثنين لهما غاية واحدة وأساسية ، هي البحث عما في النص اللغوي من خصائص خاصة تجعل منه أدبا. وبذلك تكون الأدبية حقلا موازيا للشعرية. لكن هذا التعريف المشترك بينهما يترك الباب مفتوحا في أمر العلاقة التي تجمعهما ، والاختلاف الدقيق الذي يفصل بينهما. كما أنه لا يبين إن كان الاختلاف بينهما اختلاف في الطبيعة أم في الدرجة[6].

(1) ينظر : عثماني الميلود ، شعرية تودوروف ، ص 16.
(2)طودوروف ، الشعرية ، ص 23.
(3)حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 14.
(4) ينظر : عثماني الميلود ، شعرية تودوروف ، ص 64.
(5)ينظر : طودوروف ، الشعرية ، ص 30 وما بعدها
(6)ينظر : جون كوين ، النظرية الشعرية ، ص260

و«الأدبية» كما وردت عند ياكبسون ، تمثل علم الأدب الذي يبحث عن الخصائص أو الميكانيزمات التي تجعل من عمل ما أدبيا ، وهذا هو الموضوع العام للشعرية. لكن وبالرغم من كون مصطلح «الأدبية»أسبق ظهورا من «الشعرية» في عالم النظرية النقدية ، إلا أنه لم يجد الرواج الكافي لينتشر ويتبنى ، فسرعان ما شاعت «الشعرية» وطغت عليه(1).

وبرأي حسن ناظم الذي قدم بحثا قيّما عن مفاهيم الشعرية ، فإن «نظرة دقيقة لاستراتيجية الشعرية ، تظهر أن الأدبية هي موضوعها الأكيد ، فما دامت الشعرية ـ ومن بين مهامها الأساسية ـ تستنبط الخصائص المجردة في الخطاب الأدبي ، وهذه الخصائص هي التي تضفي على الخطاب أدبيته ، أي أن الخصائص المجردة هذه هي ـ اختصارا ـ الأدبية ذاتها ، فالشعرية ـ اختصارا أيضا ـ تستنبط الأدبية في الخطاب ، وبهذا تكون علاقة الشعرية بالأدبية ، علاقة المنهج بالموضوع على التوالي»(2).

3ـ الشعرية وعلاقتها بالعلوم المختلفة

تلتقي الشعرية بعلوم كثيرة باعتبار أن الأدب موضوع لمختلف التخصصات. من هذه العلوم ما يعنى بالأدب في مجال اشتغاله الخاص كعلم النفس علم الاجتماع، التاريخ ، الفلسفة ، علم الجمال ، الأنثروبولوجيا...إلخ. ومنها التي تعنى بالأدب لذاته بالدرجة الأولى ـ وهي التي تهم الشعرية بدرجة أكبر ـ كالبلاغة ، الأسلوبية ، السيميولوجيا ، اللسانيات ، النقد ، التأويل... وغيرها.

كل هذه العلوم تعين الشعرية إعانة كبيرة بلا شك ، لأنها جعلت الأدب جزءا من اهتماماتها. لكن ، وحسب تودوروف ، تتميز البلاغة في هذا الإطار بكونها أقرب هذه العلوم للشعرية ، لأنها تشتغل على الخطاب(3). ومثله يرى جيرار جينيت أيضا بأن البلاغة قريبة جدا من الشعرية ، لأن الشعرية في إحدى معانيها ليست إلا بلاغة جديدة ، مؤكدا على أن«مستقبل الدراسات الأدبية سيكون أساسا على التبادل الضروري ـ ذهابا وإيابا ـ بين النقد والشعرية »(4).

هذا التقاطع بين الشعرية ومختلف العلوم في موضوع الدراسة ، أي الأدب ، أوجد بعض التداخل بينها ، وهو أمر لا يزعج الشعرية ، لأن الشعرية الجديدة

(1) ينظر : حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 35 ، 36
(2)نفسه ، ص 36.
(3) ينظر : عثماني الميلود ، شعرية تودوروف ، ص 16.
(4)Gérard Genette, Figures III, Seuil, Paris, 1972, P11

تحاول أن تكون أكثر مرونة وشمولية ، وترغب في الانفتاح على كل العلوم التي يمكن أن تقدّم لها عونا ودعما لما تتوجه إليه. ولعل هذا ما جعلها لا تثبت على منهج معين ، حيث «لم تستند الشعرية عبر تاريخها الطويل إلى منهجية واحدة ، إلاّ إذا حصرنا الشعرية في العصر الحديث ، حيث اتبعت مع الشكلانيين الروس والذين جاءوا بعدهم المنهجية اللسانية»(1).

دافع ياكبسون عن اللسانيات بحماس كبير ، وأكد كفاءتها لتدخل مجال الشعرية(2)، معتبرا «الشعرية جزءا لا يتجزأ من اللسانيات»(3). لأنها تهتم بقضايا البنية اللسانية التي تكون اللسانيات علمها الشامل. وبرأيه يجب أن تحظى اللغة الشعرية بكل اهتمام اللساني ، فكل بحث في مجال الشعرية يفترض معرفة أولية بالدراسة العلمية للغة. وعليه يمكن للشعرية أن تعرّف بوصفها «الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عموما وفي الشعر على وجه الخصوص»(4).

تتداخل الشعرية أيضا بالبنيوية والأسلوبية؛ فأما الأولى ، فإن كل شعرية هي شعرية بنيوية ، ذلك لأنه «يكفي دائما إدخال وجهة نظر علمية في أي ميدان كان حتى تكون هذه العملية بنيوية»(5). وأما الثانية ، فإن المخاض الذي شهدته دراسة الأسلوب هو الذي فجر الشعرية الحديثة، والأسلوبية تُعنى بدراسة الخصائص اللغوية التي تحوّل الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية. لهذا فإن الشعرية تشمل الأسلوبية بوصف هذه الأخيرة إحدى مجالاتها الأولى(6).

ومن المجالات المهمة التي تتعامل معها الشعرية ، والتي لا يمكنها تجاوزها ؛ نجد الجمالية. فالشعرية التي لا تفسر القيمة الجمالية للخطاب الأدبي وتهملها ، هي شعرية تبرهن على فشلها حسب تودوروف. فلكي «نعتبر التحليل مرضيا ، فإن عليه أن يكون قادرا على تفسير القيمة الجمالية لعمل ما. أي ، بعبارة أخرى ، له من القدرة ما يفسر علة حكمنا على هذا العمل أو ذاك بالجمال دون غيره من الأعمال ، وإذا لم يتوصل إلى تقديم إجابة مرضية على هذا السؤال ، يذهب الاعتقاد إلى أنه قد برهن على فشل التحليل»(7). لذلك فإن تفسير الجمالية

(1)حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 09.
(2) ينظر : رومان ياكبسون ، قضايا الشعرية ، ص 61.
(3) نفسه ، ص 24.
(4) نفسه ، ص 78.
(5) طودوروف ، الشعرية ، ص 27.
(6) ينظر : حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 37 ، 38.
(7) طودوروف ، الشعرية ، ص 79.

الجمالية شرط من شروط نجاح أي شعرية.

في هذا المقام يتبادر سؤال بديهي مفاده: كيف يتم الكشف عن هذه الجمالية؟ الجواب يقدمه حسن ناظم كما الآتي : «مادامت الجمالية كامنة في العمل الأدبي وحده ، فإن الوصف ـ كخطوة أولى ـ هو الطريق الصحيح»(1). فطالما قيمة العمل تتجلى في بنيته ، فإن القبض على جماليته تكون بالقبض على السمات البنيوية التي تشكله. فقد أصبح «من الحقائق التي لا يرقى إليها الشك اليوم ، أنّ الحكم التقويمي على عمل ما مرتبط ببنيته»(2) ، وهذا لا يعني طبعا الاكتفاء بوصف العمل الأدبي فقط ، إنما يجب البحث عن علاقة عناصر النص بعضها ببعض ، وما أنتجه وكيفية اشتغالها مع بعض في شبكة من العلاقات.

الشعريةِ إذن ، مجال منفتح على مختلف العلوم والتخصصات ، وهي بحاجة إليها لتثري إجراءاتها وتدعم أدواتها. ومع ذلك فهي بحاجة للمزيد من الدعم لأنها ما تزال تتحول ، وكل بحث فيها هو «محاولة فحسب للعثور على بنية مفهومية هاربة دائما وأبدا»(3). ما هو حالها في كل هذا إذا ؟ «إنها في تحول ، وتلك أفضل علامات حيويتها»(4).يجيب تودوروف.

4 ـ الشعرية في النقد العربي

انفتح حقل الشعرية وتطور في بيئة غربية. أما في النقد العربي فقد ورد هذا المصطلح بمعان مختلفة ، وقد أحصى حسن ناظم في كتابه «مفاهيم الشعرية» المعاني التي حملها هذا المصطلح عند القدامى كما عند الحداثيين(5).

بالنسبة للقدامى ، فإن القرطاجني هو الوحيد الذي ورد عنده هذا المصطلح بمعنى قريب ـ إلى حد ما ـ من المعنى العام للشعرية(6) ، أي القوانين التي تحكم تحكم العمل الأدبي. أما بالنسبة للحداثيين ، فقد اختلفت ترجماتهم للفظ «Poetics» من ناقد لآخر(7) ، وإن كانوا يقدمونه بنفس المعنى عموما. ومنهم من حاول إعطاء الشعرية إضافة دلالية كما فعل كمال أبوديب ، بربطه بين الشعرية

(1) حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 42
(2) طودوروف ، الشعرية ، ص 83.
(3) حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 10.
(4) طودوروف ، الشعرية ، ص 19.
(5) ينظر : حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 12 وما بعدها.
(6) ينظر : حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 13.
(7) من بين هذه الترجمات نجد : الشعرية ، الإنشائية ، الشاعرية ، علم الأدب ، الفن الإبداعي ، الإبداع ، فن النظم ، فن الشعر ، نظرية الشعر ، بويطيقا ، بويتيك... ينظر : نفسه ، ص 18

وما سماه « الفجوة » أو « مسافة التوتر »[1].

المهم في الأمر ، أن الشعرية العربية لا تختلف من حيث مبادئها وغاياتها عن الشعرية الغربية ، وهذا لا ينفي ما بينهما من فروق أساسية وجوهرية ، تتعلق أساسا بالطبيعة الثقافية والفلسفية والفنية والفكرية المحيطة بكل منهما. إضافة إلى اختلاف اللغة ، وما يترتب عن ذلك من تباين في قواعد الصياغة والتركيب ، وبالتالي النتاج الدلالي والجمالي.

ومع أن الشعرية بمفهومها الحديث غربية الأصل والتوجه ، إلا أن النقد العربي القديم فيه ما يمكن أن يكون موازيا لها. ويتعلق الأمر هنا بنظرية عبد القاهر الجرجاني ومنهاج حازم القرطاجني ، حيث يمثلان أقرب التوجهات النقدية العربية إلى مفهوم الشعرية العام الذي عرضناه سابقا. فمحاولتهما لاستنباط قوانين الإبداع تصب في عمق الجوهر الذي تبحث عنه كل شعرية[2].

5ـ الشعرية بين علم الشعر وعلم الأدب

اختلفت الشعريات الحديثة في هذه النقطة؛ فهناك من يميل لكونها علم الشعر (كوهن وياكبسون) ، وهناك من يميل لكونها علم الأدب (تودوروف) .

هذا السؤال الذي طُرح بإلحاح انتهت معالجته إلى أن « الشعرية علم الأدب، بوصفها تبحث عن قوانين الخطاب الأدبي في كل من الشعر والنثر ، وبوصف هذين الأخيرين ينطويان على خصائص أدبية على حد سواء »[3]. وهذا ما يجب أن تكون عليه الشعرية إن كانت تريد أن تبلغ نجاحا وكمالا ما؛ أي أن تكون شاملة للأدب كله.

ومع ذلك ، توجد نظريتان بارزتان لا تسلّمان بأن الشعرية علم الأدب ، بل تعالجان فقط الشعر دون النثر ، وهما نظريتا رومان ياكبسون وجون كوهين اللذان يفرقان أساسا بين الشعر والنثر. فقد فرق ياكبسون بين طرفي الثنائية شعر/نثر التي كانت منطلق كوهين في شعريته ، حيث « آمن بالتناقض الظاهري بينهما ، ولم يلتفت إلى أن هناك نقاط التقاء حتمية بين الشعر والنثر ، وأنه لا وجود لجنس أدبي خالص مطلقا »[4]. أما نظرية ياكبسون فإنها لا تصلح إلا لمعالجة الشعر حيث تهيمن الوظيفة الشعرية ، لذلك فإن« شعريته تتسم بالتجزيئية شأنه في ذلك

(1) للمزيد عن مفهوم الفجوة أو مسافة التوتر وعلاقتها بالشعرية عند أبوديب ينظر كتابه : كمال أبوديب ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط1 ، 1987 ، ص 20 ، 21.

(2) ينظر : حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص20 وما بعدها

(3) حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، ص 83.

(4) نفسه ، ص 83.

شأن نظرية الانزياح عند جون كوهن »[1].

لكن هذا لا ينفي أن الشعرية الحديثة التي انطلقت مع الشكلانيين الروس ركزت على النصوص النثرية ، بعدما احتكر الشعر معظم الشعريات لزمن طويل. والشعرية حاليا تسعى جاهدة لأن تغطي الشعر كما النثر بدءا من إقرارها بوجود «الأدبية» في كليهما. فقد بات من المتداول كثيرا اليوم ، إيجاد عناوين من نوع «شعرية النثر»[2] ، وما يصب تحتها من أنواع كـ «شعرية الرواية» ، «شعرية السيرة» ، «شعرية القصة»... إلخ ، ولم تعد صيغة «شعرية القصيدة» أو «شعرية الديوان» هي المهيمنة فقط.

ونظرة عابرة لعناوين البحوث والمقالات المنشورة ، توحي بأن الشعرية قد أصبحت اليوم نوعا من «المودة« ، باعتبارها المصطلح الأكثر ورودا في عناوين الدراسات ، الشعرية منها والنثرية ، وصارت فاتحة لكل العناوين بمختلف أنواعها.

المصادر والمراجع

تزفيتان طودوروف ، الشعرية ، تر شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1987.

جون كوين ، النظرية الشعرية ، تر أحمد درويش ، دار غريب ، القاهرة ، ط4 ، 2000.

1. حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت / الدار البيضاء ، ط1 ، 1994.
2. رومان ياكبسون ، قضايا الشعرية ، تر محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، المغرب ، ط1 ، 1988.
3. عثماني الميلود ، شعرية تودوروف ، منشورات عيون ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1990.
4. كمال أبوديب ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط1 ، 1987.
5. Gérard Genette, Figures III, Seuil, Paris, 1972.
6. Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Seuil, Paris, 1972 .
7. Tzvetan Todorov, Poétique de la prose, Seuil, Paris, 1979.

(1) نفسه ، ص 90.

(2) ينظر مثلا كتاب تودوروف المعنون بـ «شعرية النثر« (1971) ، وهو كتاب جمع فيه دراسات في النثر تناول فيها أعمالا نثرية من مختلف العصور والأنواع ، كالأوديسا ، ألف ليلة وليلة ، الرواية البوليسية ، قصص هنري جيمس... وغيرها. وهي نصوص كان قد ألفها بين عام 1964 و1969.
Voir : Tzvetan Todorov, Poétique de la prose, Seuil, Paris, 1979.